تمثلات الايديولوجيا في الرواية العراقية

رواية صيف سويسري انموذجاً

Representations of Ideology in the Iraqi Novel: Siff Swissri

(A Swiss Summer) as a Model

م.د أحمد حميد فرحان

كلية التربية للبنات – الجامعة العراقية

ahmed.h.farhan@aliraqia.edu.iq

07700071087

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى استقصاء تمثلات الإيديولوجيا في الرواية العراقية، متخذةً من رواية "صيف سويسري"، للروائية إنعام كجه جي، نموذجاً تطبيقياً للتحليل. تنطلقُ الدراسة من فرضيةٍ مفادها أن التمثيل الإيديولوجي يتجاوز وظيفتهُ التأطيرية ليتحول إلى مختبر وجودي يسهمُ في تفكيك اليقينيات العقائدية، وإعادة صياغة الهوية الفردية بعيداً عن ضغط الانتماءات الموروثة. تعتمدُ الدراسةُ المنهجَ الوصفي التحليلي لرصد تحولات الشخوص وانتقالهم من "زمن الخناجر" والأيديولوجيات المسلحة في الداخل العراقي إلى فضاء "بازل" السويسري، الذي يعمل كـ "محجر صحي فكري" يُعيدُ تعقيم الذوات من سموم "الطاعة العمياء" للماضي. كما يُسلط البحث الضوء على رؤية الكاتبة في تشخيص الأيديولوجيا بوصفها "إرثاً سلالياً" يُقيد حرية الكينونة منذ لحظة التكوين الأولى. خلص البحث إلى أن العمل يطرح البراءة من الحزبيّة، كخيار علاجي أوحد؛ لاستعادةِ الإنسانية المهدورة، معتبرةً أن التصالح مع المشترك اليومي والتحرّر من "فخ الحنين" هما السبيلان لفك الارتباط بالأيديولوجيات القمعية. وتنتهي الدراسة بتوصيف المأزق الحضاري الذي تعيشهُ الأوطان المأزومة، حيث يظل الماضي عائقاً أمام الانطلاق نحو المستقبل، مما يجعل من الخلاص الفردي نموذجاً ممكناً للشفاء الروحي في مواجهة براكين الفوضى المستمرة.

الكلمات المفتاحية :الأيديولوجيا، المكان الروائي، إنعام كجه جي، صيف سويسري، التعقيم الفكـــري، الهوية السلالية.

Abstract:

This study seeks to investigate the representations of ideology in the Iraqi novel, taking Inaam Kachachi's novel *Siff Swissri* (A Swiss Summer) as an applied model for analysis. The study proceeds from the hypothesis that ideological representation transcends its framing function to become an "existential laboratory" that contributes to dismantling dogmatic certainties and reshaping individual identity away from the pressure of inherited affiliations. Using a descriptive–analytical approach, the study monitors the transformations of characters as they transition from the "era of daggers" and armed ideologies within Iraq to the space of Basel, Switzerland. This new setting functions as an "intellectual quarantine" that decontaminates the self from the toxins of "blind obedience" to the past. Furthermore, the study highlights the author's vision in diagnosing ideology as a "lineal heritage" that restricts the freedom of being from the very moment of formation. The study concludes that the work presents "disavowal of partisanship" as the sole therapeutic option for restoring lost humanity, considering that reconciliation with everyday commonalities and liberation from the "trap of nostalgia" are the two paths to decoupling from oppressive ideologies. The study ends by describing the civilizational impasse experienced by crisis–ridden homelands, where the past remains an obstacle to moving toward the future, making individual salvation a possible model for spiritual healing in the face of ongoing volcanoes of chaos.

Keywords: Ideology, Narrative Space, Inaam Kachachi, *Siff Swissri*, Intellectual Decontamination, Lineal Identity.

المقدمة

تُمثل الرواية العراقية المعاصرة مختبراً معرفياً، ومنجزاً جمالياً، يتجاوز حدود التدوين السردي إلى كونه فضاءً لاستنطاق التحولات العميقة في البنية المجتمعية والسياسية. فالأدب الروائي ينهضُ اليوم بمهمة تمثيل الهويات الثقافية، والإفصاح عن الرؤى الكونية من خلال تجسيد البعد الإيديولوجي للشخوص المتحرّكة في فضاء النص.

وتتأتى هذه القوة السردية من قدرة الفن الروائي على كشف تفاصيل الواقع، وجعل القارئ ينخرط في مساءلة المرجعيات الثقافية والدينية والسياسية التي تُشكل وعي الشعوب وتطلعاتها. ولمّا كانت الإيديولوجيا في جوهرها تعني كل نسق فكري يسعى لتمجيد وضع سائد أو تكريس غايات محددة، فإن النص السردي يعملُ كأداةِ رصدٍ وتحليلٍ لهذه التمثلات، سواء تبنتها الشخصيات عن قناعةٍ ذاتيةٍ أو كانت نتاجاً لضغوطٍ بنيويةٍ خارجية.

تاريخياً، ارتبط الوعيُّ العراقيُّ الحديث بصراعٍ محتدم بين ثلاث آيديولوجيات كبرى هيمنت على المشهد منذ بواكير تأسيس الدولة، وهي ايديولوجيا القومية العربية، والايديولوجيا الماركسية، والإيديولوجية الإسلامية، وفي هذا المضمار تبرزُ تجربة الروائية إنعام كجه جي كمسارٍ سرديٍّ متميزٍ يواصلُ استقصاء أعماق الوجدان العربي عموماً، والعراقي خصوصاً، مبحرة بقلم مثقف يفكك خبايا التاريخ العراقي، وتشابكاتِ حاضره، فهي لا تنفصل في مشروعها الإبداعي عن المحنة الإنسانية العراقية، بل تقدم مرويات فنية تجعل من القراءة فعلاً لا يمكن الفكاك منه، حيث يجد القارئ نفسهُ مصاحباً لتساؤلاتٍ وجودية حول مستقبل العراق والمنطقة العربية برمتها.

ففي عصرٍ يُعرف بانهيار السرديات الكبرى، ماذا يحل بأولئك الذين صاغت النيرانُ الإيديولوجية هوياتهم؟ هذا هو السؤال المحوري الذي يضخ الحياة في رواية "صيف سويسري" للروائية إنعام كجه جي، وهي رواية تحوّلُ مصحةً سويسريةً هادئةً إلى بوتقةٍ تُصهرُ فيها الروح العراقية المعذبة. وتدور أحداث الرواية في مدينة بازل، حيث يلتقي أربعة عراقيون لخوضِ تجربةِ علاجٍ تجريبي لما تسميه الرواية ببراعة تشخيصية "الإدمان العقائدي".

هنا يكتسبُ التحليل النقدي للرواية من منظور أيديولوجي أهميةً استراتيجية، فالأدب لا يكتفي بسرد الحكايات الشخصية، بل يتحول إلى مرآةٍ صافية تنعكسُ عليها الانكسارات الفكرية والسياسية التي شكلت هوية الفرد العراقي، وتكشف عن الجروح التي خلفتها الأيديولوجيات في وعيهِ وذاكرته.

تنهضُ الدراسة من فكرتها المركزية لهذا التحليل على أن رواية "صيف سويسري" تستخدم شخصياتها ومكانها السردي لتشريح المعضلات الأيديولوجية التي يعيشها المثقف العراقي في المنفى. فكل شخصية تمثلُ تياراً فكرياً أو جرحاً تاريخياً، ولا تقف الرواية عند حدود التشخيص النقدي لهذه الأزمات، بل تتجاوزهُ ببراعةٍ لاستكشاف سبل العلاج والمصالحة، محولةً فضاء المنفى من مكان للاغتراب إلى مختبر للشفاء وإعادة بناء الذات.

التمهيـــــد

يأتي تعريف الأيديولوجيا في القاموس، على أنها "مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية. أو هي طريقة أو محتوى التفكير المميِّز لفرد أو جماعة أو ثقافة" [١]. وكذلك تعرّف الأيديولوجيا في معجم اللغة والأدب، على أنها "علم الأفكار، وموضوعه دراسة الأفكار والمعاني، وخصائصها، وقوانينها، وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص".[٢] وأيضاً يطلق هذا المفهوم على "التحليل والمناقشة لأفكار مجرَّدة لا تطابق الواقع". [٣] وتطوّر مفهوم الأيديولوجيا تاريخياً ضمن الأطر الفلسفية، والسياسية، والاقتصادية، والتاريخية، والاجتماعية، على يد كبار علماء الاجتماع والسياسة، والفلاسفة، والمفكرين، إلى الحد الذي وصلنا على أنه إطار فكري عقائدي مغلق، يسعى إلى "تفسير الظواهر الاجتماعية المعقدة وتوجيه السلوك البشري، فهي تتألف من نسق من المعتقدات والمفاهيم التي تعكس مصالح الجماعات وتبرر اهتماماتها السياسية والاقتصادية والدينية. وتتحدد مستوياتها بين جانب تقويمي يُعنى ببناء الوعي، وجانب حركي يتسم بالتبدل المستمر والقياس وفقاً للواقع المتغيّر، كما تنقسم أنماطها بين توجهات خاصة ترتبط بمصالح الأفراد، وتوجهات كلية تعبر عن روح العصر أو الطبقة الاجتماعية، مما يبرز صراعاً بين فكر الجماعات الحاكمة

١. بعلبكي، منير، قاموس المورد، دار العلم للملايين، لبنان. ص ٤٤٧.

٢. المهندس، كامل، وهبه، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٧٠

٣. المصدر نفسه.

الساعية لتثبيت الوضع الراهن وإضفاء الشرعية على موازين القوة، وبين فكر الجماعات الساعية للتغيير وتحقيق العدالة.[١]

وقد حضرت الايديولوجيا في موضوعات الرواية العراقية، لأن الأخيرة لطالما مثلت مختبراً معرفياً، ومنجزاً جمالياً، يتجاوز حدود التدوين السردي إلى كونه فضاءً لاستنطاق التحولات العميقة في البنية المجتمعية والسياسية للعراق. وتعد الرواية ديواناً معاصراً سجل تلك التحولات الكبرى، حيث "انتقلت من مرحلة التأسيس الكلاسيكي إلى فضاءات التجريب الحداثي لتصبح مرآة تعكس رؤية الشعب للعالم عبر تجسيد الأبعاد الإيديولوجية للشخوص". [٢]

وقد ارتبط تاريخ الرواية المحلية، ارتباطاً وثيقاً ببواكر تأسيس الدولة العراقية، مما جعل النص الروائي منصة للإفصاح عن المرجعيات الثقافية والدينية والسياسية المتصارعة وقتذاك. وبمرور العقود الزمنية، لم تعد الرواية مجرد تدوين لحكايات متخيلة، بل أضحت أداة نقدية لاستكشاف المسكوت عنه، وقدرة فنية للإفصاح عن تطلعات الشعوب.[٣]

ومن الروايات التي جسدت تمثلات الايديولوجيا، هي رواية "صيف سويسري"، للكاتبة إنعام كجه كجي، حيث دارت هذه السردية حول أربع شخصيات متنافرة إيديولوجياً، يتم استقطابهم أواخر الألفية إلى دار إيواء بمدينة "بازل" السويسرية في رحلة علاجية رمزية من الإدمان العقائدي، وأوهام الذاكرة العراقية المثقلة بالصراعات. وتتوزع الشخصيات بين "حاتم الحاتمي" الضابط البعثي، والقاتل التائب الذي يهمين صوتهُ على السرد بضمير المتكلم، والضحايا الثلاث: "بشيرة" السجينة الشيوعية المغتصبة، و"غزوان" الاسلامي المعتقل سابقاً، و"دلاله" المبشرة الآشورية. وبينما تُعري الرواية "أمثولة الضحية" وأوهام المظلومية لدى البعض، فإنها تجعل من "الاعتراف" موضوعاً مركزياً للتخلص من فخ "التقية" الثقافية، حيث يتساوى الجميع في دار العلاج لمواجهة جروح الماضي. وتنتهي الرواية بصوت "سندس" (ابنة بشيرة) التي تمثل جيلاً جديداً متحرراً من الأورام الإيديولوجية، ينظر

---

١. العروي، عبد الله، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٢م، ص٢١

٢. المومني، رؤى.، مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، مجلة دراسات: للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٦، العدد ٢، ٢٠١٩م. ص٩١

٣. إبراهيم، سلام، الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، دورية "تبيّن"، للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية، الدوحة، العدد الثاني، ٢٠١٢م، ص١٧٦.

إلى الوطن برؤيةٍ واقعيةٍ بعيدةٍ عن صراعات الماضي وانغلاق الهويات، مما يجعل العمل صرخةً سرديةً ضد التعصب ومحاولة لاستعادة التوازن الإنساني.[١]

نبذة عن الكاتبة:

تعد الروائية والكاتبة العراقية انعام كجه جي، مواليد بغداد ١٩٥٢م، من الكاتبات اللاتي عملن في الصحافة المحلية والعربية، وكتبن الرواية بعد ٢٠٠٣، حيث بلغ عدد نتاجها الروائي خمس روايات، فضلاً عن مجموعة قصصية. وقد وصلت روايتيها "الحفيدة الأميركية"، و "طشاري" إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر)، في سنتي ٢٠٠٩ و٢٠١٤. كما حازت كجه جي، الجائزة الكبرى للرواية العربية لعام ٢٠١٦، التي تمنحها مؤسسة "لاغاردير" الأدبية بالتعاون مع معهد العالم العربي في باريس. فيما حصلت في عام ٢٠٢٥ على جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية، بمجال القصة والرواية والمسرح، تقديرًا لكتاباتها التي تدمج الجانب التوثيقي بالأدبي في موضوعات الهوية والاغتراب والحنين وغيرها.

المبحث الأول

البعد الإيديولوجي في شخصيات الرواية

تتجلى الأيديولوجيا في الرواية كقوة قاهرة تمحو الفردانية لصالح "الآلة الحزبية"؛ حيث يظهر "حاتم" كنموذج للاستلاب الكلي الذي يختزل وجوده في تنفيذ الأوامر ومراقبة "العناصر الهدامة"، ويفقد توازنه الإنساني لدرجة الامتناع عن الطعام ليرتدي بدلة هي هدية من "القائد". هذا الانصهار في بوتقة السلطة يكشف عن تحول العقيدة السياسية إلى طقس ميكانيكي يغتال الروابط الفطرية، كما حدث في إعدام رفيق عمره "أبو محمد" تحت ذريعة مكافحة التآمر.

يبرز البعد الأيديولوجي أيضاً من خلال "اللغة الحادة" والتنظير الذي يحل محل المشاعر؛ فشخصية زوج بشيرة (الافتراضي) تعرّي أيديولوجياً من خلال هوسه بمناقشة الكتب وتصدير "الأسماء الأجنبية الصعبة"، مما تسبب في "موت الحنية" وجفاف العلاقة الزوجية.

---

١ . عليوي، حمزة، "صيف سويسري"... معالجة أوهام الذاكرة بالاعتراف، مقالة نقدية منشورة في ثقافية صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، بتاريخ ٢٥ مارس، ٢٠٢٥م.

وفي المقابل تظهر دلالة الأشورية لتعيد إنتاج هذا التخشب ولكن بقالب ديني، حيث تحاكم الواقع عبر نصوص لاهوتية صارمة ترفض التأويل، مما يجعل من الأيديولوجيا—سواء كانت سياسية أو دينية— أداة لعزل الإنسان عن سياقه الوجداني.

أما الشخصيات الرئيسة، فكشفت الكاتبة عنها النقاب لتبدو كما يلي:

أ- شخصية حاتم:

تستهل الرواية نسيجها السردي بتعددية صوتية لافتة جل مسعاها "تنقل ذهن القارئ سينمائياً بين عوالم اختارتها السردية المتناولة"[١]، حيث يتقاطع صوت "حاتم" مع سطوة الراوي العليم، قبل أن يؤول الختام إلى صوت "سندس" ابنة بشيرة، في بنية دائرية تعكس تفتت الحقيقة وتوزعها بين المنظور الذاتي والموضوعي. ويمثل حاتم، ضابط الأمن القومي الملقب بـ "سور الصين"، أنموذجاً صارخاً لـ "المثقف العضوي الذي ابتلعته آلة السلطة الشمولية"[٢]، حيث يتجلى في مراجعاتهِ النقدية ذلك الشرخ العميق بين الواجب الحزبي الصارم، والنزوع الإنساني المقموع.

إن استحضاره لجولاته الليلية في الأحياء الشعبية وممارسات القمع المنهجية – من مداهمات وتحقيقات اتسمت بالعنف واللكمات – لا يمثل مجرد استرجاع لمواقف عابرة، بل هو تشريح لبنية "القسوة المكتسبة" التي فرضتها أيديولوجيا "حماية الوطن" من الأعداء المتخيلين، من إمبرياليين وانفصاليين وشعوبيين. وتتبدى سريالية هذا الولاء المطلق في طقوس التماهي مع القائد، حيث يغدو الحفاظ على "بدلة ضيقة" مغسولة بقدسية الانتماء أهم من المتطلبات الفسيولوجية الأساسية، مما يحيلنا إلى حالة من الاستلاب الكلي للذات أمام الرمز.

فنجدهُ يقول: "**شغلتني الجولات الليلية في الأحياء المشبوهة. مداهمات العناصر الهدّامة. مراقبة الجماعات الدينية. جلسات التحقيق في مراكز التوقيف. التوسّلات والعويل والشتائم واللكمات. قسوة**

١. فضل، صلاح، أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.ص ٩٧

٢. رحيم، سعد محمد.، أنطقة المحرم: المثقف وشبكة علاقات السلطة، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.ص ٦٩

ضرورية اعتَدتُها بالممارسة. قيل لنا إن البلد يحتاج قبضة لا تلين. قلنا: آمين. أعين لا تنام تسهر لكيلا يضيع الوطن. يتناهبه المتآمرون وعملاء الإمبريالية".[١]

غير أن رحلته إلى بازل سعياً وراء "التطهر من القيء الحزبي" تكشف عن أزمة ضمير متأخرة، تتلخص في الصدمة الوجودية التي أحدثها اغتيال الصداقة بأوامر حزبية؛ إذ تتحول البندقية من أداة للدفاع عن المبدأ إلى وسيلة لتصفية الرفيق "أبو محمد"، شريك الطفولة والمسيرة العسكرية.

هذا الانكسار في المنظومة القيمية لم يتوقف عند حدود الجريمة السياسية، بل امتد لينخر في الروابط الأكثر حميمية، حيث أعلنت الزوجة بقرارها القطعي بالهجران رفضاً أخلاقياً جسدياً لتلك الهوية الجديدة التي تلطخت بدماء الرفاق، مما جعل من حاتم كائناً معزولاً ينوء بحمل ذاكرة مثقلة بالندم والتآكل الذاتي.

ب- شخصية بشيرة:

تتمحور شخصية "بشيرة حسون" في الفضاء السردي كرمز للمأساة الإيديولوجية والجسدية المزدوجة؛ فهي الرفيقة اليسارية التي استُبيحت كينونتها بالاغتصاب، لتجد نفسها ضحيةً لترميم اجتماعي قسري صاغه الحزب عبر تزويجها من رفيق "مخصي" سياسياً وجسدياً بفعل التعذيب، في محاولة بائسة لستر الفضيحة بمنطق ذكوري يتخفى خلف رداء الرفاقية.

فنجد بشيرة تعبر عن آلام الماضي بلسان الراوية؛ لتعبر عن تمسكها بجنينها مجهول الأب وكيف أصبحت معاناتها رمزاً حزبياً :"**حاولت أن تُسقط حملها. تئد ذكرى انتهاكها. ثم تمسكت بالجنين حبل نجاة. حجّتها ودليل صمودها. اغتصبوها ولم تعترف. تلوثت لكنها خرجت نظيفة من عار الوشاية. ينحني الرفاق لتضحيتها، والرفيقات. أجادت دورها واشتهرت قصتها. صارت رمزًا في مواجهة الطغيان. كتبوا عنها في صحف فرنسية وروسية لا تفهم حروفها".**[٢]

وفي مفارقة درامية، يتقاطع مصيرها مع "حاتم" في قبو التحقيق؛ حيث تتبدى إنسانية الجلاد المكبوتة عبر "لثغة لغوية" ميزت أمره بالكف عن تعذيبها، وهي الإشارة التي ظلت لغزاً محيراً حتى كشفها

١. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، منشورات تكوين ودار الرافدين، الطبعة الأولى، ٢٠٢٤م. ص١٢

٢. المصدر السابق، ص٢٦

اللقاء المتأخر في بازل، هذا اللقاء يطرح تساؤلاً جوهرياً حول "الحب الصامت" الذي نما في ظلال التضاد الأيديولوجي، وكأنه "محاولة لاستعادة عاطفة بكر لم تلوثها الشعارات، وهو ليس تضاداً إيديولوجياً بقدر ما أضحى مجرد قيود شدت وثاقها عادات انطبعت في أذهانهم بعد أن أسقطت تجاربهم وهم الولاء الحزبي".[١]

بشيرة، التي تقاطعت حياتها مع عواصم المد الثوري من بيروت إلى عدن، عاشت اغتراباً عاطفياً مع زوجٍ تحول إلى شبح يقتاتُ على التنظير، حيث غابت الحميمية تحت وطأة الهوس بالكتب الأيديولوجية التي كانت تضيقُ بها ذرعاً. وتتجلى نبرة النقد الساخر في رؤية ابنتها "سندس" التي اختزلت قطيعة والديها في تلك الأسماء الأجنبية الصعبة التي كان الأبُ يدحرجها في فضاء المنزل، مما يعكسُ هوّةً سحيقة بين لغة التنظير وواقع الوجدان. وفي فعل تمردي جذري، تختار سندس القطيعة مع الهوية العراقية برمتها، رافضةً الارتباط بأي رجل يعيد إنتاج ذاكرة الخراب أو يحمل إرث الأفكار المتخشبة، لتعلن بذلك موتاً رمزياً للانتماءات الضيقة التي استهلكت حياة والدتها، ومؤسّسةً لمنطق جديد يتجاوز جراح الماضي وانكساراته، فأخذت سندس في شخصيتها دور الفينيق المنعتق من نار أحرقت والدتها، وكأنها الجيل الجديد الذي تراهن عليه الكاتبة، فـ"رسمت بها ألوان بذرة مثقف غرامشي منتفض على كل ما هو سقيم ومقدس، وهو المثقف الي يولد من صميم الألم العقائدي فيرى الإنسانية أرحب وأوسع من إيديولوجيات المنظرين الضيقة"[٢].

ج- دلالة:

تتبدى شخصية "دلالة الآشورية" في النسيج الروائي كتمثيلٍ لإشكالية الهوية الدينية الوافدة في سياق التحولات السياسية الكبرى، حيث تجسد باعتناقها لمذهب "شهود يهوه" اختراقاً للمألوف السائد داخل المسيحية المشرقية التقليدية. إن ظهورها المرتبط زمنياً بالمرحلة التي أعقبت التواجد الأمريكي في العراق يمنح حضورها أبعاداً سوسيولوجية تجعل من المعتقد الديني وسيلة لإعادة تعريف الذات خارج الأطر الطائفية الكلاسيكية. وتتجلى صرامتها الأيديولوجية في صدامها المعرفي مع "حاتم"، حيث تمارس نقداً لاهوتياً حاداً يرفض التأويلات الليبرالية للنصوص المقدسة، معتبرةً إباحة الخمر "كلاماً

١. المومني، رؤى، مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، ص١٠١

٢. جعفر، هالة، مفهوم المثقف عند أنطونيو غرامشي، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد ٥٢ (ج٣)، ٢٠٢١م.ص ١٣٢

ماسخاً" عبر استدعاءٍ نصي يربط السكر بالخلاعة، مما "يكشف عن راديكالية أخلاقية تسعى لضبط السلوك البشري وفق معايير يقينية مطلقة، هذه الراديكالية ليست سوى ردة فعل داخلية على واقع مرفوض" .[١]

وذلك كما في حوارها:

- **" وأنت يا ست دلاله، من هو الوضيع برأيك؟**
- **هو من يغوي زوجة أقرب أصدقائه**

أَدلَتِ المُبشّرة بدلوها وعادت إلى قناع القديسات المتبتلات، تلقي الكلام على عواهنه. تسقط عواهن آرائها على رأسي صخرًا جلمودًا".[٢]

وفي نزوعها التبشيري، تطرح دلالة خطاباً يتجاوز الانقسامات العمودية للمجتمع العراقي، داعيةً إلى انصهار المكونات من مسلمين ومسيحيين، وسنة وشيعة، وصابئة وبروتستانت، تحت مظلة عقائدية واحدة. هذا الطرح، وإن بدا في ظاهره دعوةً للوحدة، إلا أنه "يحمل في جوهره نقداً ضمنياً لهشاشة الروابط الإيديولوجية القائمة، ومحاولةً للاستعاضة عنها بيقين ديني عابر للقوميات والطوائف"،[٣] مما يجعل من شخصيتها صوتاً يبحث عن خلاصٍ روحاني وسط ركام البلد الخراب، والتمزقات الأيديولوجية التي يعيشها أبطال الرواية.

د- غزوان البابلي:

يبرز "غزوان البابلي" كشخصية إشكالية تختزل ازدواجية المكون الطائفي في الوعي العراقي؛ فهو المسكون بتراث "آل البيت" وتربيته المذهبية التي يعتمرها كعمامة سوداء غير منظورة، يتستر عليها بقناع من السخرية والتهكم، في محاولة لتجاوز صرامة الصورة التقليدية لرجال الدين. وذلك كما في قولهِ أثناء حوار غامزاً إلى ملاحقة المخابرات البعثية لجماعتهِ بأسلوب الشخصية الساخر حتى من

١. نصير، فاطمة، المثقفون والصراع الأيديولوجي في رواية "أصابعنا التي تحترق" لسهيل إدريس، ص ٦٣
٢. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٠٨
٣. رحيم، سعد محمد، أنطقة المحرم: المثقف وشبكة علاقات السلطة، ص٧٩

نفسه: "**وغزوان القادر على تحويل أي مأتم إلى حفل فرفشة، يسخر منا نحن الاثنين: الحقير هو الذي يكتب التقارير ضد الأبرياء بأسلوب بريء مبطّن بالخبث.**

هذه واحدة، فما الثانية؟

أن يتهرب من الواجب بادعاء أن المخاض فاجأ زوجته وهو في المستشفى.

هل مارست هذه الحيلة؟

تمخضت زوجتي خمسين مرّة في خمس سنين."[١]

ومع ذلك، يظل حضور "غزوان" ومعتقده، شأنه شأن "دلالة"، في مساحة سردية ثانوية لا تضاهي المركزية التي حظي بها "حاتم" و"بشيرة"؛ وهو تغييب فني مقصود يحيل إلى الهيمنة التاريخية والسياسية للأحزاب التي مثلها هذان الأخيران في صياغة ذاكرة العراق الحديث وخرابه. تتبنى الرواية في هذا السياق خطاباً هجائياً لاذعاً يتجاوز الأشخاص ليشمل البنى الأيديولوجية والحزبية التي استهلكت الوطن؛ حيث تدين تلك النخب التي مارست "السياسة بالوراثة" والجمود الفكري، محولةً الفضاء العام إلى ساحة لتصفية الحسابات التاريخية عوضاً عن فتح آفاق التحديث. إن تهميش شخصيات مثل غزوان ودلالة في المتن السردي يعكس واقعياً تهميش الإنسان الفرد لصالح الماكينات الحزبية الضخمة التي أنتجت في المحصلة "بلداً خَراباً" يعيش تحت ثقل الأفكار المتخشّبة، مما يجعل من الرواية وثيقة إدانة نقدية لجيل كامل عجز عن اجتراح مسارات للخلاص بعيداً عن الاستلاب العقائدي، فوجود عدة أحزاب في متصارعة لا يعني بالضرورة وجود حرية فكر، ولا يلغي واقع كم الأفواه.[٢]

المبحث الثاني

أثر الصراعات التاريخية بين الآيديولوجيات

ترسم الكاتبة شخصياتها عبر تداخل الذاكرة بالحاضر، فتجعلهم في حالة "قيء إيديولوجي"، يستفرغون فيه كل ماضيهم، لترتسم في وعي كل منهم، أنه لم يكن يصارع سوى نفسه وأنه ضحية قصته، حتى

١. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٠٧

٢. عطية، أحمد، الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، ص١٠٩

القاتل منهم والجلاد يصل إلى هكذا قناعة. فحاتم يُكشف عن تحولاتهِ الوجودية من خـــلال مصـــفاة الذاكرة التي تحاول انتقاء اللحظات البهيجة وتصفية ما شابها من كدر، فرحلتهُ من بغداد إلى "بازل" لم تكن مجرد انتقال جغرافي عابر، بل مثلت محاولة وجودية للإقلاع عن داء التقيؤ الحزبي، وهو تعبير مجازي صارخ يصور الأيديولوجيا ككيان غريب ومرضي يلفظه الجسد الإنساني بعد طول امتصاص واستلاب. ويظهر ذلك في قوله على لسان الراوي العليم: "**يمرّر ذكرياته في المصفاة ويختار البهيج منها. تطاردهُ أيامهُ البغدادية حتى بازل. جاءها للإقلاع عن داء التقيؤ الحزبي. دخل التنظيم وهـــو طالب غضّ. صدّق أنه مقاتل يستريح بين معركتين. يشتري الكتب المستعملة ويقرأ الشعر وتأخذه الحماسة. ثم جاءت السياسة. عرف طريق الحلقات السرّية وهو طالب في الثانوية. انتقل من الريف إلى المدينة وانشغل بالدراسة. أقام في مساكن الطلبة وأعجبته نفسه. أيقن أنه مواطن ذو رسالة. جهة ربانية سلّمته الوطن عهدة وأوصته به.**"[١]

ويظهر هذا الأثر التاريخي بوضوح في حالة البراءة المستلبة التي عاشها حاتم في بداياته؛ إذ انخرط في العمل الحزبي كطالب غض مسكون بأوهام البطولة الرومانتيكية، مصدقاً وهم كونه مقاتلاً يستريح بين معركتين، وجندياً في كراديس تسير بيقين نحو مستقبل يوتوبي متخيل. وفي هذا المخاض، برزت ثنائية الصراع بين الأدب والسياسة؛ فبينما كان الأدب والشعر يمثلان قوة انقاذية تحاول انتشاله مـــن المستنقع الأخلاقي الذي خاض فيه، كانت السياسة تتوغل في حياته عبر الحلقات السرية منذ مرحلة الثانوية، لتقيد انطلاقه الروحاني وتحوله إلى ترس في ماكينة السلطة، وهذا التجنيد العقائدي لا بد أن يؤدي إلى "عقد وجراح عميقة قد يتداركها صاحبها بلامبالاة تنعكس في جانبه الأخلاقي"[٢] وهو ما بدا في تصرفات هذه الشخصية.

كما كشفت الصراعات الأيديولوجية عن تضخم في "الأنا الرسالية" لدى حاتم، فمع انتقاله من الريـــف إلى المدينة واستقراره في مساكن الطلبة، تنامى لديه شعور بالاستعلاء والتميز، موهماً نفســـه بأنـــه "مواطن ذو رسالة" استثنائية. لقد أدت هذه الأدلجة إلى إضفاء طابع "رباني" زائـــف علـــى التكليـــف الحزبي، حيث اعتبر الوطن "عهدة" مقدسة سُلمت إليه، وهو ما شرعن له لاحقاً ممارسة القمع والتنكيل

١. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص٢٠

٢. الحمداني، ح.، النقد الروائي والأيديولوجيا: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، ص١١٢

تحت غطاء حماية هذه الأمانة المطلقة، مما يعكس كيف تتحول العقائد الكبرى إلى أداة لتعطيل الضمير الفردي لصالح الوهم الجماعي.

أما شخصية "بشيرة" في الرواية فتمثل المصب التراجيدي لانكسارات الأيديولوجيا اليسارية في المنطقة العربية، حيث لم تكن حياتها مجرد سيرة ذاتية، بل كانت انعكاساً لجغرافيا التمزق الثوري ومآلاته الخائبة. ومن خلال تتبع مسارها، نجد أن النص يرسم صورة قاتمة للضياع الذي يلحق بالفرد حين يتحول إلى قربان على مذبح الشعارات الكبرى.

"عمرها تمزّق بين بيروت ودمشق وعدن. في كل محطة تتراكم مشكلات جديدة. والزوج صار شبحًا. ماتت الحنيّة بينهما. يشرب ويعيّرها بخطيئتها. كأن من اغتصبها رأف به. وهي كانت مستعدة لتحمّل كل تجاوزاته إلا المسّ بشرفها. ذاك المسفوح على مذبح الحزب. ترى ابنتها تكبر وتقلق عليها. تتوسّل به أن يدبّر لهم سبيلاً إلى أوروبا. وصلوا إلى قبرص وكانت سندس تغادر طفولتها. راودها أمل بأن تتحسن علاقتها به لكنه تركهما في اللحظة الصعبة." [١]

وتتجلى ذروة النقد في تعرية العلاقة الزوجية التي صاغها الحزب كـ "ستار" أخلاقي؛ فالزوج الذي كان من المفترض أن يكون رفيقاً، تحول إلى "شبح" يقتات على تعييرها بمأساتها (الاغتصاب). هنا، تُبرز الرواية مفارقة أخلاقية موجعة؛ إذ يغدو الجاني الأصلي (المغتصب) في وعي بشيرة أكثر "رأفة" من الرفيق الذي استبطن ذكورية قمعية مغلّفة بالأيديولوجيا، وهو ما يعرف بالإتجار بالقيم[٢]، ممارساً اغتصاباً رمزياً مستمراً عبر المساس بـ"شرفها المسفوح على مذبح الحزب".

أما الهروب نحو أوروبا عبر قبرص، فيمثل الإعلان النهائي عن سقوط المشروع الأيديولوجي والبحث عن خلاص فردي بعيداً عن "الوطن الخراب". إن تخلي الزوج عنهما في "اللحظة الصعبة" ليس مجرد خذلان شخصي، بل هو إدانة لبنية الشخصية الحزبية التي تعجز عن تقديم الدعم الإنساني البسيط في لحظات الحقيقة، تاركةً المرأة وابنتها لمصير مجهول في شتات جديد.

وتتبدى شخصية "بشيرة" كمرآة عاكسة للانكسارات الكبرى التي منيت بها الأيديولوجيا اليسارية في السياق العربي، حيث لم تعد الذات لديها مجرد كيان فردي، بل أصبحت مساحة لتصفية الحسابات

---

١. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص٢٧

٢. المومني، رؤى، مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، ص ١٣٩

السياسية والاجتماعية. فالصراع الأيديولوجي في شخصيتها يتجاوز الانتماء الحزبي ليتجسد في مأساة جسدية ونفسية مزدوجة؛ فهي الرفيقة التي استُبيح جسدها بالاغتصاب، ثم استُبيحت كينونتها مرة أخرى حين أخضعها الحزب لعملية "ترميم أخلاقي" قسرية عبر تزويجها من رفيق مكسور لتغطية الفضيحة.

هذا الصراع ولّد لديها اغتراباً وجودياً عميقاً جعلها تنظر بريبة إلى الشعارات التي رفعتها يوماً، وتكتشف أن "الرفاق" الذين وعدوا بالتحرر قد استبطنوا في داخلهم ذكورية قمعية لا تختلف عن قمع السلطة التي يناهضونها. تقول على لسان الراوي في معرض ذاكرتها عن اعتقالها وتعذيبها: " **تخشى أن تنهار وتخون الرفاق والرفيقات. تستمد شجاعة مهزوزة من روايات وأشعار حفظتها. من الأناشيد والأفلام وقصة جميلة بوحيرد. ضربها المحقق الأول وصبرت. تعرف أن الضرب وسيلة قديمة. دغدغة. هناك أساليب مستوردة من ألمانيا وفرنسا. من عالم متطور ومتحضر. يا أوغاد العالم اتحدوا!**[١] تُعد هذه المكاشفة الوجدانية على لسان "بشيرة" بمثابة تشريح سيكولوجي دقيق للحظة المواجهة الصادمة بين الجسد الأعزل وماكينة القمع المنظمة، حيث تتجلى الأيديولوجيا في هذا السياق لا كفكر سياسي مجرد، بل كدرع هش يحاول مقاومة الانهيار الوجودي أمام سطوة الألم. ويبرز النص الصراع المرير بين الخوف الغريزي من "خيانة الرفاق" وبين الاستمساك بشجاعة مهزوزة تستمد ركائزها من المتخيل الأدبي والبطولي، حيث تكشف بشيرة عن آلية دفاعية تعتمد على المحاكاة الثقافية؛ فهي لا تستمد قوتها من إيمان واقعي صلب، بل من استحضار روايات وأشعار وأفلام، وأيقونات نضالية كـ "جميلة بوحيرد". هذا الاستناد إلى الورق والشاشة يعكس الفجوة العميقة بين التنظير الرومانتيكي للثورة وبين بشاعة الواقع الزنزاني، لتتحول الثقافة في لحظة التعذيب إلى مصل مؤقت لتسكين الألم الإنساني وتأجيل السقوط.[٢]

وتأتي هذه الصرخة الختامية لتقلب الشعار الماركسي الأممي الشهير (يا عمال العالم اتحدوا) رأساً على عقب، معلنةً سقوط اليقين بالأممية النضالية لصالح "أممية القمع". فالتضامن لم يعد بين المقهورين، بل أصبح بين الجلادين الذين يتحدون عبر تبادل الخبرات التكنولوجية في التعذيب، مخلفين وراءهم رفاقاً مأزومين ومحطمين نفسياً يخشون السقوط في فخ الخيانة وسط هذا "الخراب"

---

١. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص٢٨

٢. رحيم، سعد، أنطقة محرم: المثقف وشبكة علاقات السلطة، ص ١٠٩

الشامل. وتقدم لنا الكاتبة تشريحاً سوسيولوجياً ونفسياً لبدايات الانخراط في "الأيديولوجيا العاطفية"، حيث تتقاطع الرومانسية الثورية مع الغواية الشخصية، لتكشف كيف يتم استلاب وعي الفرد (بشيرة هنا) من خلال هالة "البطل الحزبي" الذي يمزج بين بريق الذكاء وقدسية النضال.

"كان الأول في حياتها. رفيقها في التنظيم. فارسها. وسامته في ذكائه وقوة شخصيته. دائم الحديث عن إيمانه بحرية الشعوب. تغامزت حوله البنات واختارها من بينهن. أسبغ عليها شرف أن تكون الأقرب إليه. أخبرها بأن الحياة قصيرة وهم منذورون للنضال. المشنقة تنتظر رقابهم. سيذيقها عسل الدنيا قبل فوات الأوان. آمنت به واستسلمت لكل ما يطلب. تنقل الكتب. تخبئ المنشورات. تتصل بمن يكون الاتصال به شبهة مُهلكة. وحين ينفرد بها في تلك الشقة الفقيرة يتحولان إلى مجنونين برغبات لا ترتوي." [١] تتجلى في هذا المقطع سيكولوجية التبعية التي يفرضها الكادر الحزبي المتمكن على الرفيقة الناشئة؛ إذ يتم تقديم الرفيق ليس كإنسان، بل كـ "فارس" و "وسامته في ذكائه"، مما يضفي صبغة نخبويّة على العلاقة تتجاوز الانجذاب العاطفي الفطري. إن عبارة "أسبغ عليها شرف أن تكون الأقرب إليه" تكشفُ بوضوح عن تراتبية سلطوية داخل التنظيم، حيث يُنظر إلى القرب من القيادة أو الكادر المتميز كـ "منحة" أو "شرف" يستوجب الامتنان والاستسلام اللاحق. كما تبرز الأيديولوجيا هنا كأداة "ابتزاز عاطفي" [٢] من خلال توظيف ثيمة الموت والقدر المحتوم؛ فخطابهُ عن "قصر الحياة" و"المشانق التي تنتظر الرقاب" لم يكن غايتهُ التعبئة النضالية فحسب، بل كان مدخلاً لشرعنة "تذوق عسل الدنيا قبل فوات الأوان".[٣] هذا الخلط بين "المقدس النضالي" و"المدنس الشهواني" هو ما جعل بشيرة تنقاد كلياً لإرادته، لتتحول من كائن مفكر إلى "أداة وظيفية" تنقل الكتب وتخبئ المنشورات وتخاطر بحياتها في "شبهات مهلكة"، ظناً منها أنها تخدم القضية، بينما هي في الواقع تخدم مركزية "الرفيق" وسلطته الجسدية عليها.

---

١. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٢٥-١٢٦

٢. الحمداني، ح.، النقد الروائي والأيديولوجيا: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، ص ١٢٦

٣. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٢٦.

المبحث الثالث

التوظيف المكاني لتحليل العقد الإيديولوجية المتحاربة

يغدو المكان في النسيج السردي العراقي المعاصر بؤرةً مولّدةً للدلالة، تتجاوزُ في وظيفتها التأطير الجغرافي لتصبح أداةً تحليليةً حادةً لتشريح التراكمات الأيديولوجية المتحاربة، فالمكان هنا ينهض بوصفه المجال الحيوي الذي تُختبر فيهِ صلاحية الوعي السياسي، وتتهافت أمامهُ اليقينيات الحزبية المتخشّبة؛ إذ يتقابل فيهِ المكان الوطن المشحون بذاكرة القمع والنزيف، مع المكان المنفى بوصفهِ فضاءً للتطهير والمراجعة الوجودية، فـ "هذا التوظيف المكاني يمنح النص قدرةً على صهر التناقضات التاريخية في حيزٍ سردي واحد"[١]، يكشفُ فيهِ زيف الترسيمات العقائدية التي شطرت الهوية الوطنية، ويستبدلها برؤيةٍ إنسانية تتجاوز ضيق الشعارات إلى رحابة الوجد المشتت، محولاً الجغرافيا من ساحة للصراع إلى مرآةٍ كاشفة لعجز الأيديولوجيا عن احتواء كينونة الإنسان وتطلعاته. وفي نص فانتازي يمثلُ ذروةَ التوظيف الرمزي للمكان في الرواية، حيث يُستحضر "المكان المتخيَّل كأداة نقدية حادة لتفكيك العُقد الأيديولوجية والتاريخية"[٢] التي أفضت بالعراق إلى الهاوية. إن الحلم بمقهى "بلوري البياض" يتجاوز كونه مجرد شطحة خيالية أو هروباً من الواقع؛ إنه مواجهة فنية شجاعة مع استعصاءات التاريخ العراقي الدامي، تعتمدُ آلية الدمج المستحيل لرموز وشخصيات كانت الصراعات الوجودية فيما بينها هي الوقود المحرك لحروب التصفيات والمحو المتبادل على مدار عقود.

"في مقهى بغداديّ بلوريّ البياض، آخر شارع الرشيد، جلس الملك غازي يلعب الشطرنج مع عبدالكريم قاسم. صدام حسين يشرب الشاي في استكان نوري السعيد. سليمة باشا تغنّي، ويونس بحري يضبط لها الإيقاع. هناك تراهم جميعًا يتقاسمون التخوت. الرفيق فهد والسيد الصدر والوزيرة نزيهة والمتمرد السعدي والعقيد المهداوي. يحيط بهم كثر غيرهم من أمثالهم. لا غشاوة على عيني الرائي ولا مونتاج يتلاعب بالصور. يقصقص ويلصق كما يشاء. كأن مقهى الوفاق صهريج تنصهر

---

١. فضل، صلاح.، أساليب السرد في الرواية العربية، ص١٠٦

٢. الحمداني، ح.، النقد الروائي والأيديولوجيا: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، ص١٤٥

فيه العداوات. يصبح اللامعقول معقولًا. تجفّ سواقي الدم التي لوّثت دجلة وعكّرت الفرات. سمّمت أسماك الشبوط ولوّت أعناق النخيل. كلهم صاروا تحت التراب. تذرو رمادهم الرياح الأربع[١]".

يتجلى اختيار طوبوغرافيا كدلالة سياسية فائقة، حيث يقع المقهى في "شارع الرشيد"، وهي المنطقة التي مثلت المركز العصبي للانقلابات والتحولات العنيفة. إن تحويل هذا الفضاء إلى "صهريج" تنصهر فيه المتناقضات الأيديولوجية، من ملكية وجمهورية وشيوعية وإسلامية وقومية "يعمل على تفكيك الرموز وتحطيم الأيقونات الذي يرمز في فقهِ الرواية السياسية إلى انقطاع الوثاق الإيديولوجي الأقدس"[٢]؛ فجلوس "الملك غازي" مع "عبد الكريم قاسم" أو "صدام حسين" مع "نوري السعيد"، يعيد هؤلاء الخصوم إلى حجمهم البشري الطبيعي، بعيداً عن هالات القداسة أو التخوين التي أضفتها عليهم الأيديولوجيات المتصارعة، مما يكسر "غشاوة" الرؤية الأحادية ويقدم مشهداً بانورامياً يرفض "المونتاج" السلطوي الذي طالما تلاعب بالذاكرة الوطنية.

وفي نهاية المطاف، يتحول الموت في هذا النص من نهاية بيولوجية إلى معادل موضوعي للتساوي والعدمية النقدية؛ فعبارة "كلهم صاروا تحت التراب" تكشف العبثية المطلقة لسواقي الدم، التي لوثت البيئة العراقية وسممت "الشبوط والنخيل" من أجل يقينيات أيديولوجية أثبت التراب في النهاية تهافتها. إن النص يجلد الذات التاريخية عبر تقديم اللامعقول كحلٍ وحيدٍ لترميمِ شتات وطنٍ مزقتهُ الشعارات، مؤكداً أن الاستلاب العقائدي لم يخلف وراءه سوى الرماد الذي تذروه الرياح، وهو ما يفتح الباب للتساؤل حول قدرة الأجيال الجديدة على التحرر من هذا الإرث المثقل بالدم والخيبات.

بينما يمثل المكان الجديد في "بازل" السويسرية في الرواية النقيض الحضاري والفكري لـ "الوطن الخراب" الذي طحنته الأيديولوجيات؛ حيث يتحول المكان من مجرد حيز جغرافي إلى معادل موضوعي لقيم الحداثة، والتحضر، والارتقاء الإنساني التي فشلت الشعارات الحزبية الكبرى في تحقيقها على أرض الواقع. فبينما أنتجت الأيديولوجيات في بغداد وبيروت وعدن، الموت والدمار، تقدمُ "بازل" نموذجاً للمكان الذي يحترمُ الحياة في أدقِ تفاصيلها، بدءاً من النهر وصولاً إلى كيس النفايات.

---

١ كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٣

٢ عطية، أحمد، الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، ص٩٤

"تطل مصانع الدواء على الراين. يتأملها ويستبعد أن تصبّ المباني الشاهقة نفاياتها في مياه النهر. يقنع نفسه بأن السويسريين لا يفعلونها. قوم متحضّرون يحترمون البيئة والطبيعة والأدغال والهوام والغيوم. يمرون بالأشجار فيرفعون لها قبعاتهم. يدفعون فرنكين مقابل كل كيس أسود من أكياس القمامة. تقع عليهم غرامات باهظة إذا خلطوا بقايا الطعام مع القناني الفارغة". [١] تتجلى الدلالات الفكرية في هذا النص من خلال المقارنة الضمنية بين "أيديولوجيا الموت" و"ثقافة الحياة"؛ فمصانع الدواء التي تطل على الراين ترمزُ للشفاء والعلم، ويستبعد "حاتم" تلوث النهر لأنَّ وعيهُ الجديد بدأ يدركُ معنى التحضر الذي يفتقدهُ في تاريخهِ الحزبي. إن احترام السويسريين للبيئة – حتى الغيوم والهوام – ورفع القبعات للأشجار، يعكسُ تقديساً للكينونة لا تملكهُ الأيديولوجيات المتصارعة التي كانت "تفتك بالنخيل وتسمم الشبوط" من أجل أوهام سياسية. كما يظهر التوظيف المكاني لـ"بازل" كفضاءٍ للانضباط الطوعي والمسؤولية الفردية؛ فدفع "فرنكين" مقابل كيس القمامة والالتزام بفرز النفايات يمثل قمة العقد الاجتماعي الناجح، وهو ما فشلت الأحزاب في انتاجهِ عبر القمع والتقارير الحزبية، إن المكان هنا يقدم درساً نقدياً للأبطال "إن بناء الوطن يبدأ من احترام القوانين، وليس من الشعارات الجوفاء التي أهملت الإنسان فيه"[٢]. وهكذا، تصبح "بازل" هي المختبر الحضاري الذي يواجه يواجه فيهِ أبطال الرواية عجزهم التاريخي، وفشل مشاريعهم التي لم تورثهم سوى التقيؤ الحزبي والشتات، فالبعد المكاني كان بمثابة برهان عقلي أسقط آخر ما تبقى من وهم الإيديولوجيا. وفي مشهد رمزي يمثل حالة مميزة في التوظيف الجمالي لثنائية المكان والأغنية، كأدوات نقدية لتفكيك الجغرافيا الأيديولوجية الممزقة؛ حيث يتحول النهر من مجرد حيز طبيعي إلى فضاء طقسي للتطهر والوصل الإنساني. إن الرواية هنا تضعنا أمام مواجهة حادة مع إرث التجهيل المتبادل الذي فرضتهُ الأنظمة والأيديولوجيات الأحادية في العراق، مستخدمةً اللحظة السويسرية كـ "مختبر حضاري" يسمحُ باستعادة الهويات المهمشة، وإعادة صهرها في بوتقة وجدانية عابرة للحدود القومية والطائفية الضيقة.

"عقدت بشيرتي منديلها على غصن أخضر ودفعت به إلى النهر. تركته يسري مع التيار. وكان بلاسم يلتقط لنا الصور وغزوان يقرأ التعاويذ. أردت أن أصاحبه بموّال ريفي وخشيت أن أفسد الجو. ثم رأينا ما لم نتوقع أن نراه في الماضي من أعمارنا. دلاله تلوّح بوشاحها المتعدد الألوان

---

١ كجه جي، صيف سويسري، ص ٥٣.

٢ المومني، رؤى، مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، ص ٩١.

وتغني بلغتها: «هلا ليت/ مَخ خُبِّخ سودانا/ هلا ليت/ مخ بالخ مرخمانا/ ليت كو دُنييه ليلا ويتا/ مخ ديخ ختا/ بي لبّي شليتا». صفّقنا لها مبهورين بحلاوة صوتها. قالت إنها أغنية للمغني المعروف آشور بيت سركيس. لم نسمع به. فنان شهير في بلادنا ولا نعرفه. وطن تقسّم حسب خطوط العرض. شماله ليس له وجنوبه يجترّ بؤسه. حاولت دلاله أن تترجم لنا الكلمات ولم نكن نحتاج ترجمة. انفعالها نقل لنا المعنى. لا أعرف الآشورية لكنني فهمت أن خُبّخ هي حُبّك. ومرخمانا مشتقة من الرحمة. ولبّي هو لبّي، يعني قلبي[١]".

يكشف التحليل النقدي لهذا النص عن "ايديولوجيا الحب والرحمة" كبديل أخلاقي لـ "أيديولوجيا الصراع"؛ فاندماج الموال الريفي الجنوبي مع النغم الآشوري الشمالي فوق ضفاف "الراين" يُعرّي زيف الانقسامات التي شطرت الوطن "حسب خطوط العرض". إن قدرة "حاتم" على فهم المفردات الآشورية (خبّخ، مرخمانا، لبّي) من خلال جذورها السامية المشتركة يمثل محاولة فنية لترميم الهوية الوطنية الكبرى، مؤكداً أن "الانفعال الإنساني" هو القادر على عبور الحواجز اللغوية التي عجزت الشعارات السياسية عن زحزحتها. وهكذا، يتحول المكان الجديد إلى فضاء للتعددية اللونية والصوتية، حيث يمنحُ الوشاح المتعدد الألوان لدلالة، واللحن العابر للمسافات صوتاً لمن خنقهم التهميش، معلناً أن "الخلاص يبدأ من استعادة الرحمة المفقودة في صراعات الماضي".[٢]

المبحث الرابع

تحول النص من تشخيص معضلات الإيديولوجيا إلى علاجها

ببراعةٍ سرديةٍ ينتقلُ النص في خواتيمهِ من مرحلة تشريح الخراب الأيديولوجي إلى محاولة اجتراح مصلٍ للشفاء من أوبئةِ الذاكرة الجمعية، فالرواية هنا لا تكتفي بوضع الإصبع على الجرح، بل تسعى لترميم الذات الإنسانية التي شوهتها الانتماءات الموروثة، دينيةً كانت أم سياسية، محاولةً فكَّ الارتباط القسري بين المصير الفردي، وبين تلك السجون العقائدية التي تُشيّد قبل ولادة الإنسان وترافقهُ حتى أنفاسه الأخيرة، وتتجلى في هذه المرحلة رؤيةٌ نقديةٌ ثاقبةٌ تنظر إلى الأيديولوجيا بوصفها انحباساً في

١. كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٦٧

٢. رحيم، سعد محمد، أنطقة المحرّم: المثقف وشبكة علاقات السلطة، ص ٩٩

ماضٍ فخٍّ يتربص بالمستقبل، وتعيد تعريف الصراعات الكبرى بوصفها مجرد "كلمات متقاطعة للتحايل على فواجع الوجود".[١]

ومن وسط هذا الزلزال الذي خسف بطوابق الذاكرة، ينبثق الحل ليس كشعارٍ سياسيٍ جديد، بل كفعل براءة وجودي؛ براءة من الحزبيّة الضيقة، وتصالح إنسانيّ عابر للخناجر القديمة، في محاولةٍ جريئةٍ لتحويل الحنين من داءٍ قاتل إلى سمٍّ مُعالج، وللبحث عن "حبة دواء" تقي الأمم انحدارها من مرتبة الدول التي تركض إلى أمام، إلى مرتبة الجماعات التي تحبو تحت وطأة غيبياتها وصراعاتها التي لا تنتهي، حيث يُقدّم النص مبرراً جوهرياً وموضوعياً لنقل شخوص الرواية من بيئتها الأم المأزومة إلى الفضاء السويسري، حيث يطرح السرد مفهوم "التعقيم الأيديولوجي" كضرورة أمنية وحضارية قبل أن تكون خياراً فردياً. فالرواية ترى في هؤلاء الوافدين المحمّلين بإرث الصراعات خلايا نائمة أو قنابل موقوتة تتطلّبُ عزلاً في مختبر حضاري (بازل) لتفكيك شفراتهم الولائية التي قد تُهدد أمن المجتمعات المستضيفة، محوّلةً فعل اللجوء من مجرد انتقال مكاني إلى عملية تطهير من سموم الطاعة العمياء للماضي التي أفسدت كينونتهم في الأوطان. "**تخشى دول اللجوء هذا النوع من الوافدين. تراقبهم وتُدرج أسماءهم في قوائم سريّة. جريرتهم أنهم يحملون للماضي طاعة عمياء. مصفّحون ضد الاندماج. سلوك خطير يمكن أن يؤدي إلى التدمير. إلى الخراب. تجرّع الغربيون أنواعاً من المفخخات فصاروا يخافون بالونات الأطفال.**" [٢] فيكشف هذا المقطع عن أزمة المناعة ضد الاندماج التي يعاني منها الأبطال، حيث يتم تشخيص الأيديولوجيا القديمة بوصفها تصفيحاً يعزل الفرد عن سياقه الإنساني المتغير ويجعلهُ عاجزاً عن التوافق مع قيم الحداثة، ويبرز حالة الفوبيا التي أصابت المجتمعات الغربية جراء تصدير العنف الأيديولوجي، مما حول "بازل" إلى محجر صحي فكري يُراد منه مراقبة مدى قدرة هذه الشخصيات العقائدية على الانصهار والتحول، ومن هنا يبدأ إعادة تعريف "الجريرة" هنا بوصفها ولاءً للماضي، تضعُ الشخصيات أمام حتمية المراجعة؛ فإما التخلي عن تلك الدروع الحزبية المتخشبة التي تقود للخراب، أو البقاء في شتاتٍ روحي يمنعهم من تذوق طعم البراءة حتى في أبسط صورها. فيُنزع عن الأيديولوجيا رداؤها الفكري لتكشف عن وجهها القدري المورث. فالانتماء السياسي هنا لا يأتي نتيجة خيارٍ حر أو قناعةٍ واعية، بل يبرز كقيدٍ بيولوجي وسلالي يسبق

---

١. المصدر السابق، ص١٢٣.

٢ كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص٣٤

وجود الفرد[١]، محولاً العقائد السياسية إلى أديانٍ وضعية تمارسُ ذات السطوة والشمولية التي يمارسها الموروث الديني، مما يجعل من الهوية زنزانةً تُشيد جدرانها قبل لحظة التكوين الأولى.

"في بلادنا نرث الدين من السلالة. نتلقى بصمته على شهادة الميلاد. أبوك مسلم أنت مسلم. أبـــوك صابئي أنت صابئي. مسيحي، أنت مسيحي. تكبر داخل سجنك المهيأ لك من قبل أن تكون نطفـــة. ترافقك قضبانه حتى طلوع النّفَس الأخير. جاءت العقائد السياسية فصارت ديناً ثانياً لا حياء فيـــه. أبوك شيوعي أنت شيوعي. تولد في أسرة بعثية تصبح بعثياً. المشكلة أن يأتي أحدهم إلى الدنيا في بيت يتفادى السياسة. يخشى مآلات الانخراط فيها. يمشي أفراده جنب الحائط. يكبر على الهـــامش والكل يطارده. لا أحد يتقبله بدون لون. لستَ معنا إذاً أنت ضدنا... اللعنة على الأحزاب!" [٢]

فالحديث هنا عن مأزق الحتمية الذي يغتالُ الفردانية لصالحِ الجماعة، حيث تُشبه الكاتبة الهوية المورثة بـــ السجن الذي يُصادر حق الإنسان في الاختيار منذ أن كان نطفة. إن الربط بين وراثة الدين ووراثة الحزب يُعرّي زيف الحداثة السياسية في المنطقة؛ فـــ "الشيوعية" أو "البعثية" لم تُمارس كأفكار للتغيير، بل كـــ هويات قبلية تُورث في شهادات الميلاد.

وتصل ذروة المأساة عند رصد مصير "اللا منتمي" أو المحايد، الذي يجد نفسه مطارداً ومرفوضاً في مجتمع لا يقبل بـــ "اللا لون"، حيث تُمارس الأيديولوجيا إقصاءً جذرياً عبر ثنائية (معنا أو ضدنا)[٣] كما وصفها غرامشي. إن اللعنة الختامية التي أطلقتها الكاتبة ليست مجرد انفعال، بل هي صرخة احتجاج ضد منظومة كاملة من الاستلاب التي حوّلت الأحزاب إلى جدران اسمنتية، تمنع الإنسان من ممارسة حقه البديهي في الوجود المستقل خارج قطيع السلالة. منتقلًا من وراثة العقيدة إلى وراثة الفوضـــى، يُسلط العمل الضوء على طبقة المستفيدين والضحايا في آنٍ واحد، وكيف تتحول السلطة عندما تتهاوى من كراسي الحكم إلى مقاعد المقهى. إن الكاتبة ترصدُ هنا لحظة الانفجار التاريخي الذي لا يُبقي ولا يذر، واصفةً إياه بالزلزال الذي ينسف الأبنية الأيديولوجية والاجتماعية، ليترك الإنسان عاريًا أمـــام ذاكرةٍ مستباحة، وتاريخٍ مشوه، في مشهدٍ سريالي يعلن نهاية الأوهام الكبـــرى، وســـقوط الفـــردوس الأرضي المزعوم.

---

١ عطية، أحمد، الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، ص٤٨

٢ كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٥١

٣ جعفر، هـــالة، مفهوم المثقف عند أنطونيو جرامشي، ص ١٣١

"تسحب كراسي الحكم من تحت مؤخراتهم وتجلسهم على مقاعد المقهى. من مات منهم خلّف ألفاً مثله. لا مهرب بعد الحريق من تداخل الأزمنة. ينفجر بركان ينبئ بزلزال. تنخسفُ الطوابق وتدمر ما تحتها. لكل طابق أوان. نساء ورجال كانوا مسحوبي الذاكرة، منومين ثم استفاقوا. يعبثون بالبناء الشاهق. يشرعون بوابته للطارئ الغريب. يخسرون ما كان فردوساً على الأرض. في طغيانهم يعمهون." [١]

هذه هي الرؤية الدائرية للخراب؛ فعبارة "من مات منهم خلّف ألفاً مثله" تحيل إلى استمرارية النخبة الانتهازية، وتناسل الأيديولوجيات القمعية حتى بعد سقوط الرموز. إن تداخل الأزمنة يعكس حالة الارتباك التاريخي الذي يعيشه المجتمع العراقي، حيث تنهار البنى الأيديولوجية فوق بعضها البعض، مما يؤدي إلى تدمير الذاكرة الجمعية. تصف الكاتبة الجماهير بأنهم كانوا "منومين" تحت سطوة الشعارات، وعندما استفاقوا، لم يجدوا أمامهم سوى "العبث بالبناء"، في إشارةٍ رمزية إلى التخريب الذي أعقب التغيير السياسي. ثم تختزل الكاتبة في هذه العبارة الجوهر الوجودي لكل الصراعات البشرية، معتبرةً الأيديولوجيا مجرد قناع زائف يرتديه الإنسان لمواجهة قلقه الأزلي، محولةً العقائد من مشاريع خلاص وطني إلى وسائل تسلية ذهنية تُلهي البشر عن حقيقة فنائهم. حيث أن "**العقائد والملل كلمات متقاطعة للتحايل على فاجعة الموت**". [٢]

وبنظرةٍ فنيةٍ عدميةٍ تُعرّي الأيديولوجيا من قدسيتها؛ فالكاتبة تشبه المذاهب السياسية والدينية بـ "الكلمات المتقاطعة"، مما يوحي بأنها بناءات ذهنية مصطنعة ومعقدة، غايتها الوحيدة هي التحايل وشغل الفراغ الروحي، لربط العقيدة بـ "فاجعة الموت" يجرّد الأحزاب من وعودها السياسية، ليضعها في سياقها الحقيقي كآلية دفاعية نفسية، حيث يهرب الإنسان من خوفه من العدم بالانتماء إلى "مطلق" عقائدي يمنحه وهماً بالخلود أو المعنى.

أما بعد رحلة التشريح الطويلة لأوجاع الأيديولوجيا، ينتقل العمل الروائي إلى "مختبر الحلول"، حيث يطرح التصالح الإنساني كبديل عن الصدام العقائدي. يتجلى الحل هنا في استعادة المشترك اليومي البسيط، وتفكيك شحنة العداء التاريخية في بيئة محايدة، حيث تتحول الرموز التي كانت وقوداً للموت

---

١ كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ص١٦١

٢. المصدر السابق، ص١٦٤

إلى مادة للسخرية والوجع المشترك، مما يمهد الطريق لولادة إنسان جديد يتخفف من أثقاله القديمة فوق أرصفة بازل.

"يعجب حلال العقد حين يراهم متصالحين. كأن كلاً منهم لم يكن يحمل خنجره في حزامه لذبح الآخر. يشربون النسكافيه على مهل ويأكلون كعك البريتزل. يتذكرون نفس الأغنيات ويفرقعون الأصابع. يسخرون من الأناشيد الوطنية وهم يستعيدون كلماتها بوجع. "يا كاع ترابك كافوري". على خبراء مصانع الدواء أن يرفعوا الحنين من قائمة الأمراض. يضيفونه إلى صيدلية السموم." [١]

يعرض العمل الانتقال من زمن الخناجر إلى زمن التعايش، و تبرز الأغنية المشتركة كعقد اجتماعي جديد يتجاوز الأيديولوجيا، بينما تتحول الأناشيد الوطنية من أدوات للتعبئة إلى موضوع للسخرية الموجعة، خاصة في استحضار عبارة "ترابك كافوري" التي تربط الوطن بالموت (الكافور)، وهنا تعمد الكاتبة إلى "جعل شخصياتها تستحضر مقدساتها لتقوم بإذلالها قبل قتلها عبر ضرب الرمزية الإيديولوجية لها".[٢] ويصل النص إلى ذروته الفلسفية في إعادة تعريف "الحنين"؛ فبدلاً من كونه عاطفة نبيلة، يُصنف هنا كـ "سم" يجب الحذر منه في "صيدلية الروح"، لأن الحنين للماضي الأيديولوجي هو العائق الأكبر أمام الشفاء، فالحل الذي يقدمه النص هو "قتل الحنين" المرضي لاستعادة القدرة على تذوق الحياة في "البريتزل" واللحظة الراهنة.

إلا أن الحل الجذري يكمن في الانعتاق، حيث يصل العمل إلى "نقطة الصفر" الأيديولوجية، حيث يطرح الحل الجذري والوحيد الممكن لاستعادة الذات المسلوبة، فالانتقال من ضجيج الشعارات إلى الليلة الخرافية، يمهد للحظة مكاشفة وجودية، حيث يصبح التساؤل عن المستقبل (ماذا بعد؟) معلقاً بشرطٍ واحد هو التحرر الكامل من قيود الماضي التنظيمية، وإعلان القطيعة النهائية مع الانتماءات التي شوهت نقاء التجربة الإنسانية.

سألتني بشيرة في تلك الليلة الخرافية:

ماذا بعد؟

---

١. المصدر السابق.

٢. عليوي، حمزة، صيف سويسري .. معالجة أوهام الذاكرة بالاعتراف، مقالة نقدية منشورة في ثقافية صحيفة الشرق الأوسط.

أن نبرأ من حزبينا. [١]

وهنا يبرز مفهوم الخلاص بالبراءة؛ فكلمة "نبرأ" تحمل دلالة مزدوجة: فهي تعني "الشفاء" من مرض عضال (الأيديولوجيا)، وتعني أيضاً "التبرؤ" الأخلاقي والقانوني من أخطاء الماضي، فـ "الحزب" هنا يتجاوز كونه تنظيماً سياسياً ليصبح "خطيئةً" تستوجب التطهر، أو "قيداً" يمنع الشخصية من الانطلاق نحو "الما بعد". هذا الحل الذي تطرحه الرواية هو بمثابة إعلان "موت الأيديولوجيا" لصالح "ولادة الإنسان"؛ إذ لا يمكن لبشيرة أو حاتم صياغة مستقبل مشترك وهما مثقلان بتبعات الولاءات القديمة. إنها دعوة للعودة إلى الفطرة الأولى، حيث يكون المعيار هو الكينونة الحرة لا اللون الحزبي الذي صبغهما به التاريخ.

تختتم الرواية مشهدها السردي برؤية بانورامية شديدة القتامة، تنتقل فيها من مأساة الأفراد إلى "فلسفة التاريخ" ومصائر الأمم. ففي هذه الخاتمة، يتحول السؤال من البحث عن خلاص بشيرة وحاتم إلى تساؤلٍ وجودي حول قدرة "العلم والحضارة" على لجم جنون الأيديولوجيات المتناسلة، إنها صرخةٌ ختامية تضع "بازل" السويسرية في مواجهة "البركان" المشتعل في الشرق، معلنةً أن الأزمة أعمق من مجرد صراع سياسي، بل هي ارتكاسٌ حضاري يجعل من الماضي "فخاً" ينصب نفسه في طريق كل غدٍ ممكن.

"**تركض دول إلى أمام وتحبو دول. تتأخر وتتناحر وتستنجد بالغيب. ماضيها فخّ لمستقبلها. جماعات إرهابية ومافيات وأحزاب جديدة أخطر من القديمة. كم طنًّا من حبوب خضراء وحمراء وقرمزية تطرح مصانع سويسرا لإطفاء هذا البركان؟**" [٢] وهذا ما يسمى بـ "يأسٍ حضاري" يعيد ترتيب العالم وفق منطق الحركة؛ بين دول "تركض" نحو الحداثة، ودول "تحبو" في وحل النزاعات. تبرز عبارة "ماضيها فخ لمستقبلها" كأقوى تشخيص لـ "العقدة الأيديولوجية، حيث يتحول التاريخ من ركيزة للهوية إلى شرك يعيق الانطلاق".[٣] ويرصد النص بمرارة "تناسل الشر"؛ فالأحزاب القديمة لم تنتهِ إلا لتلد ما هو "أخطر" منها (مافيات وإرهاب)، مما يعني أن "التعقيم" الذي جرى في "بازل" قد لا يكفي لعلاج عدوى بهذا الاتساع. وتأتي الرمزية الأخيرة لـ "أطنان الحبوب الملونة" لتطرح تساؤلاً تهكمياً حول

---

١ كجه جي، إنعام، صيف سويسري، ١٦٥

٢. المصدر السابق، ص١٧٣

٣. جعفر، هالة، مفهوم المثقف عند أنطونيو غرامشي، ص٢٩

حدود "العلاج الكيميائي/الحضاري"؛ فهل تستطيع مصانع الدواء في الغرب أن تطفئ بركان العنف المشتعل بالغيبيات والأيديولوجيات؟ إنها نهايةٌ مفتوحة توحي بأن الحل الفردي (البراءة من الحزب) هو الممكن الوحيد، بينما يظل الوطن مريضاً تاريخياً، يستعصى شفاؤه على كل عقاقير الأرض.

الخاتمة

تُعد هذه الرواية وثيقةً سرديةً وحفرًا سيميائيًا في طبقات الخراب الذي خلّفته الأيديولوجيا في الوجدان العراقي، حيث نجحت في تحويل "المكان" من مجرد حيز جغرافي إلى "مختبرٍ وجودي" لاختبار مآلات الوعي الزائف. إن الانتقال من عتمة الداخل العراقي، المثقل بذاكرة الزنازين وسواقي الدم، إلى ضفاف "الراين" في بازل، لم يكن مجرد رحلة لجوء، بل كان هجرةً نقديةً مكنت الشخوص من استعادة مسافة الرؤية الضرورية لتفكيك يقينياتهم المتخشّبة، وتحويل أوجاعهم الشخصية إلى مادةٍ للتحليل السريري تحت ظلال مصانع الدواء السويسرية.

وعلى مستوى المتن الحكائي، صاغ العمل فلسفةً "للبراءة" تتجاوز الطرح السياسي التقليدي؛ فالبراءة من الحزب لم تكن مجرد انسحاب تنظيمي، بل كانت فعلاً تطهرياً يهدف إلى استعادة "الإنسان الطبيعي" من براثن "الإنسان الأيديولوجي" الذي صبغته السلالات والمذاهب بألوانها قبل ولادته. لقد استطاع السرد أن يعري "قدسية الايديولوجيا" ليظهرها كآلية دفاعية (كلمات متقاطعة) للتحايل على فاجعة الموت، محولاً صراعات "الخناجر" القديمة إلى لحظة "وجع مشترك" فوق أرصفة المنفى، حيث يسخر الأبطال من أناشيدهم الوطنية التي لم تورثهم سوى الكافور والرماد.

وبناءً على التحليل السابق لمفاصل الرواية، وتوظيفاتها المكانية والفكرية، يمكن تلخيص أهم النتائج، التي أجابت عنها الدراسة فيما يلي:

١. توصل التحليل إلى أن الرواية تُشخص الأيديولوجيا في المنطقة كـ "دين ثانٍ" يُورّث وليس اختياراً، مما يحول الأحزاب إلى سجون تُشيد قبل ولادة الفرد، وتصادر حقه في صياغة هويته الخاصة.

٢. أثبت البحث أن المكان في الرواية عمل كمرآة عاكسة لإخفاقات الأيديولوجيا؛ فالمكان السويسري بقيمهِ الحضارية (احترام البيئة، الانضباط، السلم) كان المعادل الموضوعي لما فشلت الأحزاب العربية في تحقيقه طوال عقود.

٣. تفكيك الرموز التاريخية: كشف العمل عن عبثية الصراع السياسي، وأن الهستيريا الإيديولوجيا فشلت في صنع وطن يليق بأبنائه، بينما نجح الآخر غير المؤدلج بهدوئه العقلي في ترسيخ قيم سامية دون الحاجة لفوضى عقائد وشعارات.

٤. خلصت الدراسة إلى أن الحل الذي يطرحه النص هو "الشفاء من الحزبية"، و عد التحرر من الانتماءات الضيقة هو المدخل الوحيد للاندماج في الوجود الإنساني الرحب، مع التحذير من "سمّ الحنين" الذي يُبقي الإنسان أسيراً لماضٍ مدمّر.

المصادر:

١- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية: دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت).

٢- إنعام كجه كجي، صيف سويسري، منشورات داري تكوين والرافدين البيروتية، ط١، ٢٠٢٤.

٣- حمزة عليوي، "صيف سويسري"... معالجة أوهام الذاكرة بالاعتراف، مقال منشور بموقع صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، بتاريخ ٢٥ مارس، ٢٠٢٥م.

٤- حميد لحمداني، النقد الروائي والأيديولوجيا: من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠م.

٥- رؤى المومني، مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة، بحث منشور بمجلة دراسات الأردنية، للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٦، العدد ٢، ٢٠١٩م.

٦- سلام إبراهيم، الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، مجلة "تبيّن"، العدد الثاني، ٢٠١٢م.

٧- سعد محمد رحيم، أنطقة المُحرّم: المثقف وشبكة علاقات السلطة، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

٨- شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣.

٩- صلاح الفضل، أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، بيررت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٠- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ٢٠١٢م.

١١- علي المقري، إنعام كجه جي: كأنّ لعنة حلّت بالعراق، مقالة نقدية منشورة بموقع مجلة المجلة، بتاريخ ٧ أيلول ٢٠٢٣م.

١٢- علي حاكم صالح، الأيديولوجيا وتمثيلاتها الفلسفية في الفكر العراقي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠١٧م.

١٣- فاطمة نصير، المثقفون والصراع الأيديولوجي في رواية "أصابعنا التي تحترق" لسهيل إدريس، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائرة، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.

١٤- هادي جعفر، مفهوم المثقف عند أنطونيو غرامشي، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد ٥٢ (ج٣)، ٢٠٢١م.

١٥- منير بعلبكي، قاموس المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

١٦- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م